

# نوادي القراء.. موضة مؤقتة أم تيار ثقافي عام

## مجموعات افتراضية تتوسع بسرعة قد تغير سوق الكتب نهائياً

خلق انتشار فايروس كورونا واقعا جديدا، يظن الكثيرون أنه طارئ، فيما هو تغير جذري. أعاد انتشار الفايروس وملازمة البيوت توقيا من عدوى الناس لذواتهم، وازدهرت نشاطات عديدة من بينها قراءة الكتب، لكن هذه الأخيرة التي كانت مؤطرة سابقا بنشاطات واقعية وبنوادي القراءة أو المكتبات أو الفعاليات الثقافية وغير ذلك، صارت أكثر فأكثر أنشطة افتراضية، تضاعف فيها دور مجموعات القراء الافتراضية وفعاليتها، وتضاعف معها عدد العناوين المكتشفة، ما ينبئ بواقع جديد كلياً في عالم القراءة.

أحمد القرملوي  
كاتب وأديب مصري



الورقة البيضاء". والاستلهاً هنا يُشير إلى الرابط المعنوي الفريد الذي يربط القارئ مع عملية الكتابة نفسها، ويؤكد رغبته في استيعاب عوالمها في حياته الخاصة، وقلقه المتواصل من البعد عنها، ما يجعله يبحث بداب عن أشباه القراء القادرين على انتشاله من حالة الفتور هذه حالما يقع فيها.

### وسائط للقراء

مع انتشار شبكة الإنترنت وتكريسها لأنماط جديدة من العادات والسلوكيات، صار الكثير من القراء يجدون ضالتهم بسهولة أكبر من السابق. فقبل عصر الإنترنت، كان القراء لا يلتقون نظائرهم بعيداً عن المكتبات، أو المنتديات الثقافية.

وتعاني المكتبات - كما هو شائع في عالمنا العربي - من الوحدة والفراغ في أكثر الأوقات، وقد يرتادها البعض لأسباب أخرى بعيدة عن قراءة الكتب. وفي عالم يتدفق عبر كوابل الإنترنت ووسائل التواصل الحديثة أكثر مما يسيل عبر ممرات الحياة التقليدية، فالقراء يجدون أقرانهم بكثرة بسيطة على أزرار لوحات المفاتيح، أو بعد لمس شاشات الهواتف النقالة.

صار القراء يتناسون اليوم مع شغفهم عبر قنوات اليوتيوب التي تعرض الكتب، وعلى صفحات التدوين الرقمي، مثل "جودريسنز" و"أبجد" وغيرهما، حيث يتبادلون الآراء والمراجعات، كذلك عبر منسورات تويتر وإنستغرام المهتمة بالكتب. غير أن الظاهرة التي صارت تلفت الأنظار مؤخراً، هي ظهور مجموعات القراء الافتراضية على فيسبوك وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي، تلك التي بالرغم من تفاوت نجاحها في استقطاب القراء الشغوفين، فإن نتائجها اليومية وتوسع أنشطتها لا يخفيان على متابع ولا يمكن أن يمر دون ملاحظة، إذ لم تعد تستقطب اهتمام القراء فحسب، بل صارت تجذب الكتاب، والمسؤولين في دور النشر والمكتبات، أي جميع المهتمين بالقراءة والكتابة وتسويق الكتب. كما لم تعد أنشطتها مقتصرة على

تبادل الآراء والمقترحات في ما يخص الكتب فقط، بل توسع نشاطها ليشمل تنظيم اللقاءات المفتوحة، وتبادل الكتب في ما بين الأعضاء، وبرامج توعية القراء وتشجيعهم على المزيد من القراءة، والمسابقات والهدايا التشجيعية، ومبادرات التعريف بالكتاب الجدد، حتى صار التنافس، بل والتعاون أحياناً، بين مجموعات القراء المختلفة على أشده، بحيث أضحت أشبه بتيار رئيسي جديد يتشكل في أوساط القراءة والكتابة، جارفاً إليه جميع مكوناتها.

ما يحدث في زمن كورونا لن يبقى في زمن كورونا، على عكس المقولة الأميركية الشهيرة عن مدينة لاس فيغاس؛ فما يترتب اليوم على ذلك الضيف الثقيل، كوفيد - 19، من تغيرات جذرية في وجه العالم، هو بمثابة عملية تجميل ذات نتائج مستدامة، لن تستطيع البشرية محوها أو التراجع عنها بعد عبور المحنة.

وكلمة "تجميل" هنا ليست على سبيل التفاضل فقط، بل إنها التصور الأكثر واقعية قياساً بحركة التاريخ ومجرباته المعتادة، فدائماً ما تفرز الأحداث الكبرى، حتى المساوية منها، نتائج تثبت مع مرور الوقت صلاحيتها للاستمرار في حياة البشر.

سابق وأن بلغت ظاهرة نوادي الكتاب أوج ازدهارها قبل ظهور الفايروس المميت، إذ صار العديد من القراء يتجمعون في المجاورات السكنية أو النوادي الرياضية، أحياناً وحتى بداخل الشركات، فيؤسسون نوادي للقراءة يُشرف عليه عادة أكثر الأعضاء حماساً لتعميم عادة القراءة والتشجيع عليها، أو أكبر المستعدين لبذل الجهد اللازم لتنظيم اللقاءات واختيار الكتب وإدارة الفعاليات.

### أفضلية تصعب مجاراتها

بالنظر إلى طبيعة نوادي الكتب التقليدية وتامل تكوينها، سنخلص لكونها لا تستطيع مجاراة ما يمكن لمجموعات القراء الجديدة أن تتبناه للمشاركة، حتى قياساً بأكبر نوادي الكتاب زخماً بالأعضاء وأكثرها نشاطاً

مع حلول الوباء العرين (كورونا)، تعدد استمرار لقاءاتهم وفعاليتهم التي تستلزم الحضور المباشر، وتباطأ أكثرهم في تحويل نشاطه إلى الوسيط الافتراضي، ما حفز رواد نوادي الكتاب المهتمة على البحث عن بدائل تعوضهم عن تلك الأجواء التي افتقدوها نتيجة لقيود التباعد الاجتماعي، فلم يجدوا أفضل من مجموعات القراء على فيسبوك وغيره، ما ساهم في تفاقم دورها وزيادة أعداد أعضائها بشكل مطرد.



### القراءة باتت عالماً متشابكاً لا فردياً فحسب

الكتب التي يستطيع الاختيار منها وفقاً لذائقته الخاصة وحالته المزاجية، وطبقاً للترشيحات المؤثقة بالطبع، ومن هنا أخذت مجموعات القراء الجديدة شكل "دوائر التأثير"، وبدأت تجذب اهتمام المكتبات ودور النشر، فصاروا يمنحون ميزات خاصة لأعضاء المجموعات ذات التأثير الأكبر، ما ساهم في توسيع دوائرهم وزيادة تأثيرهم، وهكذا دواليك. صرنا نسمع عن الكتب المهداة للقراء المميزين من أعضاء المجموعات، والخصومات الخاصة التي تفرق بها المجموعات الأكثر إقبالاً على اقتناء الكتب، وكذلك الإعلان عن صدور الكتب الجديدة عبر صفحات المجموعات قبل غيرها، بل وبطاقات الولاء والعملاء الدائمين الممنوحة عبر المجموعات ذات الشعبية الواسعة.

### أصداء تسويقية

هل يقف الأمر عند إحلال مجموعات القراء الافتراضية محل نوادي الكتب التقليدية، وهذا كل شيء؟ أم يُعاد تشكيل المشهد الخاص بسوق الكتب وترسيم حدوده؟ الأرجح أن السيناريو الثاني هو الأقرب للحديث، فقد غذت مجموعات القراء الجديدة، خاصة في الفترة الأخيرة، تلعب دوراً ترويجياً هاماً لا يمكن التهاون مع تقديره، إذ صار العديد من القراء يهتمون بالكتب التي يتردد ترشيحها بين مجموعات القراء التي ينتمون إليها أكثر من غيرها.

فالقارئ مثله مثل أي إنسان، كائن اجتماعي يسعى للانتماء إلى كيان أكبر يشعر بداخله بالتجانس والاطمئنان، ومع توالي التجارب يتعرف القراء على الأعضاء الأقرب إلى ذائقاتهم والأجدر بثقتهم، فينثرون بأرائهم ويميلون لاقتناء الكتب بناء على ترشيحاتهم.

المعمول به عادة في نوادي الكتب، فإن القارئ يشعر بحرية أكبر بين مجموعات القراء، حيث لا يُطالب بقراءة كتاب معين خلال فترة محددة تمهيداً لانخراطه في النشاط القادم للمجموعة، بل إنه يجد تنوعاً هائلاً من النشاطات التي يمكنه الانخراط فيها، وبإقامة متنوعة من

وحماساً للفعاليات، فالفيسبوك يتيح من طرق التفاعل المتنوعة ما يسمح بمشاركة حتى أكثر الأعضاء خجلاً ورغبة في الانطواء، كما يسمح هو وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي بحضور عدد غير محدود من المشاركين في الفعاليات والمناقشات، سواء بالمشاهدة فقط أو بالمداخلات النصية والصوتية والمرئية.

ربما لا تكون نوادي الكتب التقليدية مُنشئة بمنافسة مجموعات فيسبوك من الأساس، إذ تُعزز نشاطها على أعضائها قليلاً العدد، ولا تتشغل بغير راحتهم واستمتاعهم بشغفهم المشترك والوقت الذي يمضونه معاً، غير أن السؤال الذي لا بد أن يطرح نفسه عليها عما قريب، هو ما إذا كان الأعضاء سيستمرون في التفاعل على أرض الواقع عبر هذه المجموعات الصغيرة، أم يجرفهم التيار الجديد بكل ما تستطيع تقديمه المجموعات الكبيرة الافتراضية؛ وهل سيكون لذلك تأثير ملموس على إمكانية دعم المجموعات الصغيرة وتحقيق أهدافها مستقبلاً؟

لا يخفى على أحد ما يبذله القائمون على مجموعات القراء الجديدة من جهود دؤوبة ومستمرة، لأجل تخطي جميع العقبات التي قد تحول دون استمرارهم في النمو والازدهار، فنراه مثلاً، على غرار نوادي الكتب التقليدية، يستضيفون الذين يتوسمون فيهم شعبية ما من بين أعضاء مجموعاتهم، فيقومون بالتعريف بهم والترحيب بانضمامهم، ثم يشرعون في الترويج لكتبهم حديثة الإصدار ويساهمون بجدية كبيرة في تشجيع الأعضاء على اقتنائها، ومشاركة صورههم مع مقتنياتهم من الكتب، أو مكتباتهم المنزلية الأخذة في الضخم. ونجدهم يحثون الأعضاء على نشر المراجعات والتقييمات للكتب التي يقرأونها، كوسيلة للجمع بين الكتاب وقارئة المحتمل، ولمساعدة القارئ على اتخاذ القرار ما إذا كان هذا الكتاب أو ذاك يُناسبه ويلئم مزاجه الحالي. ويقومون بتنظيم المناقشات واللقاءات المرئية المباشرة مع المؤلفين عبر التطبيقات الرقمية المختلفة، ويدعون القراء إلى المشاركة فيها بصحبة الناشرين والنقاد ومسؤولي المكتبات طبقاً للمناسبة.

### مع انتشار شبكة الإنترنت وتكريسها لأنماط جديدة من العادات والسلوكيات، صار الكثير من القراء يجدون ضالتهم بسهولة

والاحتمالات مفتوحة على المزيد من الابتكار، فقد نجد في قاعات الأيام بين مجموعات القراء من يفتتح منجراً للكتب، أو دار نشر نوعية، أو يتحول إلى كيان موثوق يوكل إليه قياس حركة سوق الكتاب ومؤشراته. قد نجدهم يشاركون بفاعلية في معارض الكتاب الدولية، أو يُقيمون معارضهم الواقعية أو الافتراضية؛ جميع السيناريوهات ممكنة، طالما استمرت مجموعات القراء في الابتكار وفي اكتساب المزيد من رقة التأثير، ولا بد لكل فكرة مبتكرة أن تُحقق نجاحاً ملموساً وتتحوّل ذات يوم إلى نشاط اقتصادي قادر على الاستمرار، وعلى اجتذاب الحلول الاستثمارية الجديرة بالدراسة، فيكتسب مقدرته أكبر على إعادة تشكيل المشهد والمستقبل.



المكتبات العمومية أصبحت فارغة